

# فبايعهم على الموت كلمات في المنهج

بقلم الشيخ أبي  
جندل الأزدي  
فارس بن أحمد آل  
شويل الزهراني

في العام السادس الهجري وفي شهر ذي القعدة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم متجهين إلى مكة لأداء العمرة وكان معه ألف وخمسمائة، كما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه، وعنه فيهما: "كانوا ألفاً وأربعمائة" وفيهما عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "كنا ألفاً وثلاثمائة"، قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة. قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله أو هم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وقد صح عن جابر القولان".

بعث النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه عيناً له من خراصة خيبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأخابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وقال: "أترون أن نميل إلى دراري هؤلاء الذين أعانوهم فتصيبهم، فإن قعدوا، قعدوا مؤثورين مجروبين، وإن يحيوا تكرر عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟"

فقال أبو بكر رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا

وبين البيت قاتلناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قَرُّوْهُوَ إِذَا".

فلما اقترب من مكة وفزعت قريش لنزوله أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليعثه إليهم، فقال: يا رسول الله! ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوديت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فأرسله إلي قريش، وقال: "أخبرهم أننا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمّاراً، وادعهم إلى الإسلام"، وأمره أن يأتي رجلاً بمكة مؤمناً، ونساءً مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفي فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر على قريش، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، وأخبركم أننا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمّاراً، فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فأنفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجاره، وأردقه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا أَظْنَهُ طَافَ بِالْبَيْتِ وَيَحْنُ مَحْضُورُونَ"، فقالوا: ومما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: "ذَلِكَ ظَنِّي بِهِ، أَلَّا يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ حَتَّى يَطُوفَ مَعَهُ" واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراجموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سفيره عثمان قد قتل، فقال: "لا نبرح حتى نناجز القوم" وعزم على القتال، ودعا إلى البيعة، فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة، فبايعوه على ألا يفروا - وفي رواية على الموت [1] - فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: "هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ".

وكان عمر أخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد بن قيس.

(1) انظر فتح الباري (6/117).

وكان مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَخْذًا بِغَصِنِهَا يَرْفَعُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ أَبُو سَيِّدَانَ الْأَسَدِيَّ .

وبايعه سلمةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، وَأَوْسَطِهِمْ ، وَآخِرِهِمْ .

نعم من أجل رجل واحد ثار المسلمون وتبايعوا على الموت أو على عدم الفرار وأنزل الله فيهم آياتٍ تتلى إلى يومنا هذا وسُميت تلك البيعة ببيعة الرضوان وبشرهم الله بالجنة وكانوا خير أهل الأرض كما في صحيح البخاري "أنتم اليوم خير أهل الأرض" ، وها نحن اليوم في جزيرة العرب يتجبر طواغيت آل سعود ويتجرأ جند الطاغوت أعوان الصليبيين على قتل القائد المجاهد خالد حجاج وأخيه إبراهيم المزيني ووالله لمن تذهب دماؤهم هدرًا وسناخذ بثأرهم وإنني على يقين بأن المجاهدين قد عزموا على مناجزة القوم وعلى عَدَمِ الفرار بل وعلى الموت عسى الله أن يرضى عنهم والأيام حُبلى فدماء المجاهدين (خالد حجاج، يوسف العبيري، تركي الدندني، أحمد المدخيل وغيرهم) لن تذهب بالمجان بل ستبقى وقودًا للمعارك، وزادًا للطريق، ونورًا للمجاهدين، ونارًا على المرتدين والصليبيين.

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُ أَصْحَابَهُ فِي الْحَرْبِ عَلَى الْأَلَا يَفْرُوا، وَرَبَّمَا بَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ، وَبَايَعَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ كَمَا بَايَعَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَبَايَعَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَبَايَعَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّزَامِ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبَايَعُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ الْأَيْسَالُوا النَّاسَ شَيْئًا".

والبيعة على الموت من الأمور المشروعة كما مرَّ وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية [7/11-12] قصة عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك فقال: "قال سيف بن عمر عن أبي عثمان العسَّاني عن أبيه. قال: قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع عليَّ الموت؟ فبايع عمُّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدَّامَ فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم حَلَقٌ منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح

استسقوا ماءً فحيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم جميعاً".

وقد أوردت هذه القصة لتأكيد مشروعية البيعة على الموت فقد عقدت هذه البيعة على مرأى ومسمع أكثر من ألف من الصحابة بينهم مائة من أهل بدر وقائد الجيش يومئذ خالد بن الوليد ولم ينكر أحد منهم على عكرمة بل أقروه على فعله يقول ابن كثير رحمه الله: " قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه: إنهم قالوا كان في ذلك الجمع - جيش المسلمين باليرموك - ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر".

يقول سيد قطب رحمه الله: "هذا الدرس - بيعة الرضوان - كله حديث عن المؤمنين، وحديث مع المؤمنين؛ مع تلك المجموعة الفريدة السعيدة التي بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة والله حاضر البيعة - بعلمه - وشاهدها وموثقها، ويده فوق أيديهم فيها؛ تلك المجموعة التي سمعت الله تعالى يقول عنها لرسوله صلى الله عليه وسلم: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}.. وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: "أنتم اليوم خير أهل الأرض" .. وإنني لأحاول اليوم من وراء ألف وأربعمائة عام أن أستشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العلي العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين. أحاول أن أستشرف صفحة الوجود في تلك اللحظة وضميره الممكنون؛ وهو يتجاوز جميعه بالقول الإلهي الكريم، عن أولئك الرجال القائمين إذ ذاك في بقعة معينة من هذا الوجود... وأحاول أن أستشعر بالذات شيئاً من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بأذانهم، أنهم هم، بأشخاصهم وأعيانهم، يقول الله عنهم: لقد رضي عنهم، ويحدد المكان الذي كانوا فيه؛ والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضى: {إِذْ بَايَعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}.. يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق، على لسان ربه العظيم الجليل..

ياالله! كيف تلقوا - أولئك السعداء - تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي؟ التبليغ الذي يشير إلى كل

أحد، في ذات نفسه، ويقول له: أنت أنت بذاتك يبلغك الله  
لقد رضي عنك، وأنت تباع تحت الشجرة! وعلم ما في  
نفسك فأنزل السكينة عليك!

إن الواحد منا ليقراً أو يسمع: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ  
آمَنُوا}.. فيسعد. يقول في نفسه: الست أطمع أن أكون  
داخلاً في هذا العموم؟ وبقراً أو يسمع: {إِنَّ إِلَهَ مَعَ  
الصَّابِرِينَ}.. فيطمئن. يقول في نفسه: الست أرجو أن  
أكون من هؤلاء الصابرين؟ وأولئك الرجال يسمعون  
ويبلغون. واحداً واحداً أن الله يقصده بعينه وبذاته، ويبلغه:  
لقد رضي عنه! وعلم ما في نفسه، ورضي عما في نفسه!

يا لله! إنه أمر مهول!

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ  
الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ  
فَتْحاً قَرِيباً}..

علم ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم، وعلم  
ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم  
من كظم لأنفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم  
ليقفوا خلف كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
طائعين مسلمين صابرين.

فأنزل السكينة عليهم.. بهذا التعبير الذي يرسم  
السكينة نازلة في هينة وهذوء ووقار، تضيء على تلك  
القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعدة، برداً وسلاماً  
وطمأنينةً وارتياحاً".

**وإني أسأل كلَّ مسلمٍ يقرأ هذا الكلام  
فأقول:**

أين نحن من الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون  
أمريكا؟  
وأين نحن من المجاهد رمزي يوسف والمجاهد أبي  
هاجر العراقي في سجون أمريكا؟  
وأين نحن من أسرائنا في غوانتانامو؟ وأين نحن من  
علماء المسلمين المأسورين في سجون الطواغيت  
والمرتدين؟  
وأين نحن من بقية المستضعفين من المسلمين الذين  
يقعون خلف الأسوار؟

يا لله بيعةً على الموت وعلى عدم الفرار من أجل رجل واحد - عثمان بن عفان - من رسول الله صلى الله عليه وسلم!! وقتلنا اليوم وأسرانا بالمئات والآلاف ولا تتحرك فينا شعرة ولا نباع لله بيعة صادقة نكفر بها خطايانا!!

أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟ أين شباب الإسلام؟ أين الذين يثأرون لدينهم ولعرضهم ولإخوانهم ولأمتهم؟

خوِّب ديننا وسبب ربنا تعالى ونبينا صلى الله عليه وسلم وأخذت ديارنا ونحن سادرون غافلون مشغولون!! وأخذت أموالنا ونحن لاهون!! وقتل أبطالنا وأخيارنا ونحن ساكتون!!

فإلى متى يا أمة الإسلام؟ إلى متى؟ إلى متى؟!!

عن مجلة صوت  
الجهاد  
العدد الثالث  
عشر



تم تنزيل هذه  
المادة من  
منبر التوحيد  
والجهاد

<http://www.tawhed.ws>  
<http://www.almaqdese.com>  
<http://www.alsunnah.info>